قراءة سوسيولوجية في ثلاثة نصوص شعرية شعبية

"بحث في علم اجتماع الأدب"

م. محمد حمود إبراهيم

الملخص:

تقوم فكرة البحث على عملية الربط بين إبداع الإنسان وبين البيئة التي يحيا فيها، من خلال ما تغرسهُ هذه البيئة "طبيعية كانت أم اجتماعية " فيه من مبادئْ، وقيمْ، وأفكارْ، وعاداتْ، وتقاليدْ، ومعتقداتْ تشكل بمجملها الثقافة، بالإضافة إلى الأنظمة الاقتصادية والسياسية التي تحيط بالمجتمع ،في الوقت الذي تقوم البيئة الطبيعية فيه وفي وقت متزامن في تغذية مزايا خاصة وتدعيمها بما يخلق حالة الإبداع لدى الإنسان "نحت،رسم،دراما ،شعر، أو أي عمل إبداعي آخر".

حاول الباحث في بحثه هذا أن يحدد العلاقة بين بيئة الريف المحاذي للأهوار في جنوب العراق، وبين سكانها الذين يعيشون فيها، ويتلقون مفردات ثقافتهم منها.لقد تم اختيار ثلاثة نماذج على شكل نصوص (قصائد) شعبية باللغة الدارجة "الشعبية".لقد تناولت ه
هو "طيف
قراءةً وتحليلاً في هذا البحث فسوف يتبين لنا كيف تؤثر البيئة بجانبيها الطبيعي و الاجتماعي ووفق أنساقها الإيكولوجية والاقتصادية و السياسية والثقافية ضمن بنيتها العامة في عملية الإبداع .

يتكون البحث من فصلين يضم كلٌ منهما مجموعة من المباحث ،أشتمل الفصل الأول على موضوع البحث،وأهميته،والأهداف المبتغاة من ورائه، والصعوبات التي واجهت الباحث، و تحديد المجالين الزماني والمكاني لها، مع تعريف القارئ بالسياق النظري والمنهجي الذي تم إتباعه، بالإضافة إلى المبحث الخاص بالتعريف بأصحاب النصوص الشعرية التي جاء البحث لدراستها. وفي الفصل الثاني الذي ضم مجموعة أخرى من المباحث أيضا،تناول كل مبحث منها نموذجاً واحداً من نماذج الدراسة،ففي كل مبحث من هذه المباحث حاول الباحث أن يقوم بعملية تحليل سوسيولوجي لمقاطع النصوص الثلاثة من خلال البحث عن كل ما أحاط الشاعر من ظروف اجتماعية وثقافية وسياسية جعلته مهيئا لهذا النتاج سواء أكان مدركا لهذه المؤثرات متفاعلاً معها أم خاضعا مستسلما لها فقط.أن الباحث يُدرك تماماً أن أحدى مهام المختص في علم الاجتماع هي البحث في الخبايا والمكنونات التي تحيط بالمجتمع أو تتداخل مع أنساقه وتؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة بهذا المجتمع أفراداً وجماعات وتساعد على نتاجه وإبداعه أو نكوصه.وبناءاً على ما تم الإشارة إليه فأننا سنجد كيف يمكننا التعرف على الطابع العام للمجتمع من خلال دراسة إبداع مجموعة صغيرة من أبنائه.

Sociological reading of three potery textes
in the popular language
' Research in the sociology of literature'

Abstract :

The idea of research on the link between human creativity and the environment in which they live by, through accolade instills in this environment, "whether natural or social" its principles, values, ideas, customs, and traditions, and beliefs of a whole culture, in addition to economic and political systems that surrounding community, at a time when the natural environment and simultaneously to feed and strengthen the special advantages, including creating a situation where human ingenuity, "sculpture, drawing, drama, poetry, or any other creative work."

A researcher try at the research has to determine the relationship between the environment, rural

adjacent to the marshes in southern Iraq, and their inhabitants who live there, and receive items of their culture from them. I have been a choice of three models in the form of texts (poems) poetic vernacular "popular." I have dealt with these texts one address is a "nice beloved," and by eating these texts read and analyzed in this research will prove how they affect the environment in both its natural and social, according to systemes of social structure; ecological, economic, political and cultural rights within the general structure in the process of innovation.

The research consists of two chapters each with a group of detectives, which included the first chapter on the subject of research, important, and the goals, from behind, and the difficulties faced by the researcher, and to identify areas temporal and spatial, which, in introducing the reader context of conceptual and methodological procedure that was followed, in addition to Section Special definition of the owners of poetic texts that came research study. In the second chapter, which included another group of detectives also, each dealing Study of such a model and one of the models of the study, each Study of the of the detective tried to researcher that the process of analyzing the sociological to sections three texts by searching for all it took the poet of social and cultural conditions and political made him ready for this production, whether aware of these effects will be interactive with them or under resigned only to them. that the researcher was fully aware that one of the functions of a specialist in sociology is to search the recesses and hiden thinges surrounding community or interfere with its system and affect directly or indirectly in such a society individuals and groups and help his accomplishments and creativity or regres. Based on what has been referred to, we will find how we can identify the general character of a community of creativity through the study of a small group of its people.

الفصل الأول / المبحث الأول
الإطار العام للبحث

أولاً- موضوع البحث :

يحاول الباحث تحديد العلاقة التي تربط بين البيئة والمبدع ، أي تأثير البيئة التي يعيش فيها الإنسان على ما ينتجه من أعمال إبداعية. أن الباحث يدرس ثلاثة نصوص شعرية لثلاثة شعراء من سكان ريف جنوب العراق المحاذي للأهوار، ومن خلال ما يتوصل إليه البحث من نتائج، فأن الباحث يحاول تعميم رؤاه على أماكن أخرى تشابه البيئة التي تناولها البحث في عموم الريف المحاذي للأهوار في محافظات البصرة وميسان وذي قار.

أن النصوص الثلاثة ما هي إلا نماذج لمئات النصوص الأخرى التي صاغها أصحابها في هذه المناطق وفي فترات زمنية مختلفة وتحت تأثير ظروف إيديولوجية وسياسية واقتصادية وثقافية متباينة. أن الباحث هنا لا يتناول هذه النصوص بصورة مجردة، فالبحث ليس أدبياً محضاً، ولا هو بحث في النقد الأدبي، وإنما هو بحث في علم اجتماع الأدب يتناول تأثير بيئة الريف المحاذي للأهوار بكافة أنساق البناء الاجتماعي فيها(الايكولوجية، الاقتصادية ، الثقافية والقرابية) على الإبداع الذي يصدر عن الإنسان الذي يعيش فيها، مختلف صور الإبداع (الفني،الأدبي،...الخ) وما الصورة التي تمثلها النماذج المختارة إلا انعكاس للواقع بكافة تفاصيله.

أن موضوع بحثنا هذا يهتم بتحديد العلاقة بين الإنسان وبين بيئته التي يحيا في ظلها ويتلقى مفردات ثقافته من القنوات الموجودة فيها، الرسمية منها المتمثلة بالمدرسة ،ومن القنوات غير الرسمية المتمثلة بالعائلة والجيرة والمجتمع المحلي الصغير في العملية التي يطلق عليها بالتنشئة الاجتماعية أو التنشئة الثقافية كما يحلوا للأنثروبولوجيين تسميتها.أن البيئة باعتبارها وسطا حاضنا للإنسان تساهم إلى حد كبير في صيرورة أفكاره ورؤاه في بوتقتها ومع ذلك فان الإنسان المبدع التواق إلى التطلع لآفاق رحبة يستطيع التخلص من أسار بيئته فيما إذا كانت معوقة لطموحاته وأحلامه.

ثانياً- أهمية البحث :

لا تخلو الدراسات التي تتناول مناطق الأهوار والأرياف المحاذية إليها في جنوب العراق من فوائد

كبيرة كونها تعالج مشكلات وقضايا، وتكشف عن الكثير من الخبايا في مختلف مجالات الحياة في هذه المناطق،كان من العسير تناولها أو دراستها نتيجة سياسات النظام الدكتاتوري السابق في العراق، والذي صب جام غضبه على هذه المناطق، ومارس مختلف صور سياساته الغاشمة فيها، والتي تمثلت بالاضطهاد الفكري والتنكيل، والتصفية الجسدية، والتهميش، والحصار، والتهجير، والتدمير ثم توجها جميعا بكارثة التجفيف وقطع سبل الحياة عنها .

من هنا فأن الباحث يجد أن هذه البيئة بحاجة إلى دراسات كبيرة و في مختلف الاختصاصات لاسيما منها الاجتماعية والانثروبولوجية والاقتصادية والديموغرافية، سواء أكانت للواقع المعاش حالياً أو للماضي القريب. أن ذلك سوف يفيدنا كثيرا في رسم سياسات علمية للنهوض بواقع هذه المناطق وكذلك أرشفة النتاج الأدبي الذي تمتاز به بعد دراسته دراسة علمية دقيقة ومتجردة عن الأهواء والنزعات.من هنا يتبين لنا مدى أهمية هذه الدراسة كونها تناقش العلاقة الجدلية بين الإنسان وبين بيئته التي يعيش بين جنباتها متأثرا بها ومؤثرا فيها،الجانب الطبيعي من البيئة وما يحتويه من طقس وتربة ومياه وأحياء متنوعة، والجانب الاجتماعي وما يضم من أنساق اقتصادية وثقافية وقرابية، والإنسان الذي يعيش وسط هذين الجانبين متلقيا لما تطرحه هذه البيئة من دروس دون نقد و تحليل، أو ثائراً على القوالب الجامدة فيها والتي يرى ضرورة تغييرها.أن أهمية هذا البحث تتجلى بالإضافة لما سبق الإشارة إليه،تتجلى في عملية كسر القوالب التي تقف دون ولوج البحث السوسيولوجي لبعض الجوانب كالتي تطرق إليها بحثنا،كما أنها تخوض في مجال ربما يعتبره آخرون أنه نوع من الترف البحثي في بيئة اجتماعية تعاني من مشكلات كبيرة ومعقدة،وجوابا على هذا التساؤل المفترض أقول أن عملية البحث العلمي بصورة عامة وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا يجب لا تتوقف عند جانب دون آخر إذا ما أردنا بناء علم اجتماع عربي مستقل ومنتج وليس مجرد علم معتمد على علم الاجتماع الغربي بالنظرية والمنهج.

ثالثاً- أهداف البحث: يرمي الباحث إلى تحقيق جملة من الأهداف التي يمكن إيجازها بالآتي:-

١- التعرف على طبيعة الحياة الثقافية في مناطق الريف المحاذي للأهوار خلال عقدي سبعينات وثمانينات القرن العشرين .

٢- تحديد العلاقة المتبادلة(تأثيراً وتأثراً) بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها وخصوصاً في مجال الإبداع.

٣- الكشف عن طبيعة المزاج العام للسكان، والمثقفين منهم بصورة خاصة في فترة السبعينات والثمانينات من القرن العشرين .

٤- التعرف على كيفية استخدام المبدع للرمز في التعبير عن الحقائق في ظل وجود السلطتين،الاجتماعية بثقافتها التقليدية المغلقة والعصية على التغيير،والسلطة السياسية القمعية التي تحارب القلم بالبندقية.

٥- تشجيع دراسات علم اجتماع الأدب في البيئة العراقية وتجاوز قالب الدراسات التقليدية التي درج عليها معظم الباحثين العراقيين والعرب في علم الاجتماع.

٦- المساهمة ببناء علم اجتماع عربي مستقل قدر الإمكان ومتحرر عن التبعية لنظريات علم الاجتماع الغربي برجوازي كان أم ماركسي، من خلال البحث في موضوعات محلية صميمية ومن الواقع المعاش وغير مقتبسة من دراسات غربية، لذا نجد أن الباحث لم يستخدم مصادر كثيرة بل اعتمد على رؤاه الخاصة في التحليل والتفسير.

رابعاً- صعوبات البحث:

واجهت الباحث مجموعة من الصعوبات كان من أهمها، عدم وجود اثنين من أصحاب النماذج المختارة، بسب وفاة احديهما وهجرة الآخر، الأمر الذي اضطره إلى اعتماد منهجين من مناهج البحث هما منهج دراسة الحالة مع أحد الشعراء الثلاثة، ومنهج تحليل المضمون مع نصي الشاعرين الآخرين(المتوفى والمهاجر) . لقد اضطر الباحث إلى السفر إلى أماكن متعددة من اجل اللقاء بالعائلات وأقرباء وأصدقاء هؤلاء كما اضطر إلى البحث عن الظروف الحياتية التي عاشوا تحت ظلها.

خامساً- المجال المكاني والزماني للدراسة:

تم اختيار مناطق الريف المحاذي للأهوار وبالتحديد ريف ناحية كرمة بني سعيد في قضاء سوق الشيوخ حوالي ٤٠ كيلو متر جنوب شرق مدينة الناصرية مركز محافظة ذي قار،ففي هذا الريف نشأ الشعراء الثلاثة وتشربوا بثقافة المجتمع المحلي التقليدية،كما أن مخيلتهم قد نمت وترعرعت وسط المياه والخضرة بين انبثاق غبش الفجر المنبلج فوق القصب والبردي في الهور وسحر الغروب فوق غابات النخيل.أما المجال الزماني فأنه وعلى الرغم من أن النماذج ظهرت في السبعينات وثمانينات القرن الماضي إلا أن الدراسة لابد لها من العودة إلى الأربعينات والخمسينات والستينات وهي العقود الثلاثة التي ولد وترعرع فيها الشعراء، وكذلك السبعينات وهو العقد الذي تكرست فيه سياسة البعث في العراق وما نتج عنها من تهميش وصد وقمع للتيارات الفكرية الأخرى، وتنكيل وتصفية لعناصرها

واثر ذلك على المزاج الثقافي في العراق بصورة عامة ومناطق الجنوب بصورة خاصة .

المبحث الثاني
النظرية والمنهج

علم اجتماع الأدب هو ذلك الفرع من العلم الذي يحاول البحث عن العلاقة التي تربط بين المبدع والمتلقي والنص،وكذلك البحث في طبيعة البناء الاجتماعي الذي يعيش فيه المبدع الذي أنتج النص،وكيفية تأثير البيئة الاجتماعية في إبداع أبنائها.وفي بحثنا هذه نحاول أن نبحث في تأثير بيئة الريف المحاذي للأهوار على إبداع الشعراء فيها،ولا بد لنا من أن نبين النظرية والمنهج التي اعتمد عليهما الباحث في تدعيم فكرته.نتيجة لافتقارنا إلى نظرية عربية أو عراقية في علم اجتماع الأدب مثل بقية فروع السوسيولوجيا الأخرى، واعتمادنا الكلي على نظرية ومنهج غربيين،فقد حدد الباحث الإطار النظري لدراسته معتمداً على نظريتين الأولى لعالم الاجتماع هك دالزيل دانكان، والثانية للعالم كولدمان أما المنهجية فقد اتبع منهج دراسة الحالة مع نص لشاعر واحد ومنهج تحليل المضمون مع نصوص الشاعرين الآخرين لعدم وجوديهما في الوقت الحاضر ،الأول يعيش مهاجرا في هولندا والثاني متوفي، إذ تم إعدامه في نهاية عقد الثمانينات بسبب انتمائه لحزب سياسي معادي للسلطة في العراق آنذاك.

ولكن ما معنى الأدب؟ سؤال أطلقه جان بول سارتر عام ١٩٤٧، وأجاب عنه في مؤلف حمل العنوان نفسه، وتبوأ مكانة بارزة ضمن روائع النقد الحديث، وبياناته المهمة. ومع ذلك فإن أحداً لم يزعم أن سارتر، أو سواه، قد نجح في تقديم إجابة شافية لسؤال يغدو يوماً بعد يوم أكثر إلحاحاً، ليس على المعنيين بالأدب ودراسته من الأدباء والنقاد والباحثين وحسب، وإنما على دارسي الأدب الشعبي والأنتربولوجية وعلم النفس وعلم الجمال أيضاً. ويبدو أن أفضل ما يعتمده المرء لتعريف «الأدب» هو مقاربة مفهومه من جوانب مختلفة، تتكامل فيما بينها لتصل إلى فهم يرجى له أن يكون أكثر تماسكاً وعمقاً وتوضيحاً لجوانب هذه الظاهرة الإنسانية البالغة التعقيد.الأدب إنشاء تخيلي تسود فيه الوظيفة الجمالية: الأدب أساساً فن جميل يتخذ من اللغة أداة له، ويتبدى لذلك في هيئة إنشاء **discourse**. ومما يميز أداة الأدب هذه أنها أداة إنسانية، ابتدعها الإنسان لتكون أداة لتفكيره وتعبيره وتواصله مع أفراد مجتمعه. وأهم من هذا كله أنها أداة الثقافة الموروثة في تجليها لمستخدم هذه اللغة، وأنها، لذلك، أداة التواصل المثلى مع هذه الثقافة. (١)

أن كل ما في الأدب يكاد يكون اجتماعياً، فالأدب بداية ظاهرة اجتماعية لا تنهض إلا في مجتمع، وهو ممارسة اجتماعية يتخذ من اللغة أداة له، واللغة هي مؤسسة اجتماعية بحد ذاتها. وهذه الممارسة تستند إلى أعراف وقيم ومقاييس ومعايير وقوانين فنية وجمالية لا تنبثق إلا في مجتمع، أي إنها اجتماعية في جوهرها، وهي كذلك لا تتم إلا ضمن مؤسسات اجتماعية. أن الأديب فضلاً عن ذلك «عضو في مجتمع، وذو وضع اجتماعي معين، إنه يتلقى مقداراً ما من الاعتراف والمكافأة الاجتماعيين وهو يخاطب جمهوراً مهما كان هذا الجمهور افتراضياً» وكذلك «فإن للأدب وظيفة اجتماعية، أو فائدة لا يمكن أن تكون فردية صرفة. ولذا فإن أكثر المسائل التي تثيرها الدراسة الأدبية مسائل اجتماعية على الأقل في النهاية أو ضمناً: مسائل التراث والعرف، والمعايير والأجناس، الرموز والأساطير». لذا فإن من الطبيعي أن يتبادل الأدب التأثير مع المجتمع الذي ينتج فيه، وأقل مسوغ لهذا التأثير المتبادل كون الأدب جزءاً لا يتجزأ من الممارسات الاجتماعية للفرد التي تكون مجموع صلاته بالمجتمع الذي يعيش فيه، ولعل هذا كان وراء نشوء حقل معرفي خاص بهذه الصلة الوثيقة هو علم اجتماع الأدب ***sociology of literature*** *الذي يدرس مسائل مختلفة مثل الأصول الاجتماعية للكاتب، وعلاقات الإنتاج والاستهلاك في الأدب، والمضامين الاجتماعية للأدب، وتأثير الأدب في المجتمع وغيرها.(٢)*

يؤكد دانكان في نظريته على التأثير الذي تمارسه البيئة السوسيو- ثقافية على إبداع العمل الأدبي،فالمؤلف والناقد والمتلقي يشتركون سوية في تنمية الإبداع وسيره في طريق معين،كذلك فان البيئة الاجتماعية التي تحتضن هؤلاء الثلاثة تعتبر السياق والحاضنة التي تنتج الإبداع.يرى دانكان أيضا أن الأدب هو عبارة عن ألفاظ ذات طبيعة استقلالية يقدمها المبدع عاكسا الظروف أو الوضع الاجتماعي السائد داخل المجتمع الذي يعيش فيه.(٣)أما نظرية كولدمان"البنيوية التوليدية" فترى أن النص الأدبي ما هو إلا بنية صغرى تتولد عن بنية كبرى والتي هي البنية الاجتماعية التي عادة ما تكون عبارة عن الطبقة أو الجماعة التي ينتمي إليها صاحب النص.(٤) وأجد من المفيد الإشارة إلى الاتجاه الذي يقوده فايتوتيس كافوليس والذي يرى أن هناك تأثيرات اجتماعية مباشرة وغير مباشرة(سياسية

واقتصادية وثقافية) مع مجموعة من الفئات الفرعية التي تنتج من هذه التأثيرات الرئيسة،تؤثر بمجملها مع اختلاف في النسب في نتاج المبدع.(٥)

المبحث الثالث

طيف الحبيب "الرمز والحقيقة"(*)

تناول الشعراء الثلاثة عنواناً متشابهاً لقصائدهم هو" طيف الحبيب " مع الاختلاف في طريقة ومضمون وهدف كل منهم . والحبيب قد يكون امرأة وهذا أول ما يتبادر إلى ذهن المرء غريزياً، إلا أنه قد يكون أيضاً رجلاً،أخاً أو أباً أو ابناً أو حتى صديق وقد يكون حزباً سياسياً أو قد يكون قائداً روحياً كرزمياً أو قد يكون الخالق (سبحانه وتعالى) كما تناوله شعراء المتصوفة. أذن فالحبيب قد يكون حقيقة وقد يكون رمزاً لحقيقة وهكذا سوف نجد في النصوص المختارة كيف يعبر الرمز عن الحقيقة،وكيف تختفي الحقيقية في ظل الرمز.

المفردة الأخرى هي " الطيف" وبعيدا عن مفهوم الطيف الفيزيائي فانه يشير في اللهجة الشعبية الدارجة في جنوب العراق إلى "الحلم" وإذا كانت الأحلام مقرونة بالنوم فان طيف الحبيب يكون بين الحقيقة والخيال أمام مرأى حبيبه يمشي معه، يجلس بجانبه ،يتغلغل في دواخله بل ويمخر في شرايينة، يسامرهُ ويشاطرهُ مشاعرهُ، يراهُ في كأسه تارة وفي القمر تارة أخرى بل ويشاركه في قراراته المهمة . من هنا يصبح للحبيب وجود ما ورائي "ميتافيزيقي" في وجدان حبيبه، هذا الوجود الذي نتج عن عدم إمكانية الوجود الحقيقي في الواقع، ليس بفعل الموت أو عدم الوجود أصلاً و إنما السبب الرئيسي يتعلق بعملية " المنع المقصود " الذي تمارسه السلطة سياسية كانت أم دينية أم عرفية قيمية، هذا المنع الذي يقف عائقاً مميتاً في كثير من الأحيان دون اللقاء أو التواصل مع الحبيب.

أن مثلث المحرمات "" Taboo Triangle "" الذي يشتمل على عدم الخوض والمناقشة في موضوعات الدين والسياسة والجنس " وقف طوال تاريخ البشرية عائقاً وسداً منيعا بوجه الإنسان للتواصل مع الآخر بل وحتى مع الذات فتعطلت آليات الإبداع بسبب تعطل قنوات التفكير السليمة بعد أن استغلت السلطة مفردات الكون التي بحوزتها من ارض ومياه ومعادن وحيوانات وإنسان لصالحها، ولأن الإنسان يختلف عن بقية المفردات الأخرى من خلال تميزه بالقدرة على التفكير فقد أصبح للسلطة هم ينحصر بالضغط عليه وتقييد حرياته واهم هذه الحريات وأكثرها خطورة وفاعلية هي حرية التفكير. وإذا كانت الكثير من الأمم قد كسرت أضلاع هذا المثلث البغيض ومنحت شعوبها الحرية في الاعتقاد والاعتناق والانتماء والتفكير والاختيار فأن الكثير من الأمم المتخلفة ومنها أمتنا العربية لازالت ترزح تحت نير هذا المثلث الذي أصبح من اولويات السلطة لديها.

شكل رقم (١)يوضح فيه الباحث العلاقة الجدلية بين الأطر التي يحيط المجتمع بها الأفراد والجماعات من فهم خاطئ للتعاليم الدينية السمحاء،ومن مفردات ثقافة تقليدية متزمتة ومغلقة ومن سلطة سياسية تضع الممنوع على كل من يحاول نقد عملها أو كشف فسادها،فيضطر المبدع إلى استخدام الرمز بدلاً من العناوين والأسماء الصريحة.

الفهم الخاطئ للتعاليم الدينية الحرام

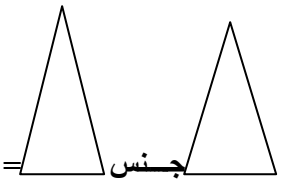

سياسة جنس = الممنوع

العيب = كبت + تكميم = اللجوء إلى الرمزية.

(*)كل ما يرد في هذا المبحث من طرح وتحليل هو من بناة أفكار الباحث وليس نقلاً عن أي مصدر آخر، والباحث يحاول من خلال ذلك تدعيم الفكرة العامة للبحث.كذلك لا بد أن تكون لكل باحث شخصيته المميزة.

ولكن هل تستطيع السلطة أن تمارس هذا الفعل وتنجح به إذا كان هناك لدى الناس خيار آخر ؟ الجواب هو كلا بالطبع ولذلك فان السلطة تستفيد من الفكر العربي المشوش والمتأرجح على المتناقضات بين التعلق بالماضي وزخرفه وبين الحاضر الذي تتكرس فيه التبعية للآخر "الغربي" الذي مابرحنا نقلده تقليداً فاشلاً في كل شاردة وواردة ونستورد منه كل شيء. لقد ولدت حالات الكبت والحرمان عند الإنسان أنواع من الطرق الدفاعية التي يحاول من خلالها التخلص من رقابة المجتمع، فلجأ إلى الخيال تعويضاً عن الحقيقة الممنوع والمحرم الوصول إليها، لذا نجد كيف يهرب الكاتب والشاعر والرسام والنحات والمسرحي والسينمائي إلى الرمز معبراً من خلاله عن الصورة التي يكتنزها في مخيلته وهو يخشى أن يعرف بها احد فيوشي به إلى احد السلطات الثلاثة السياسية أو الدينية أو العرفية فتقوم بإعدامه أو تكفيره أو نبذه على التوالي.

لقد أباح المجتمع ألذكوري للرجال الحق في امتلاك النساء زوجةً أو بنتاً أو أختاً بل وحتى أماً في كثير من الأحيان. ولم ينظر للمرأة سوى أنها وعاء للنسب وجسدا لإشباع الغريزة الجنسية ومعملاً لإنتاج الأطفال بالإضافة إلى قيامها بأعمال الخدمة في المنزل والحقل. وهكذا فقد كرس الرجل ، وهو صاحب السلطات الثلاثة ملكاً أو زعيماً في الأولى وإماماً وداعياً ومرشداً دينياً في الثانية وشيخ قبيلة ورب منزل في الثالثة، كرس عملية امتلاك وامتهان المرأة ، وقام بمصادرة حريتها الفكرية والجسدية

على حد سواء فتعطلت آليات اختيارها للملبس والمطعم والاقتناء والتعليم والتعبير عن الآراء واختيار الأصدقاء واختيار شريك الحياة.

ولم يكن أمام المرأة من سبيل والحالة هذه سوى انتهاج احد هذه السبل ، إما الاستكانة والقبول بالواقع على ما يحمله من حرمان وكبت وحصار أو الخروج على القاعدة أو سلوك الطريق الوعر الذي يقع بين الطريقين. ولكن المرأة منعت من حق آخر وهو أن يتغزل بجمالها الرجل ، ذلك أن جمالها يجب أن يختفي أو يستر بغطاء وممنوع على الرجل أن يعبر عن حالات أعجاب بجمال امرأة أو التصريح بحبها أو اللقاء بها. وهذه الحالة ولدت حالات اللجوء إلى الإشباع الخيالي من خلال الطيف.

المبحث الرابع
تعريف وحدات البحث

لقد ولد الشعراء الثلاثة(موضوع بحثنا) وترعرعوا في بيئات طبيعية واجتماعية ريفية،الشاعر الأول هو جاسب مطرب طاهر من مواليد أربعينيات القرن الماضي،نشأ في كنف التقاليد القبلية،لكنه سرعان ما أنقلب عليها محاولاً تكسير أطرها بعد أن ثقف نفسه بالأفكار الماركسية،أنتمي إلى صفوف الحزب الشيوعي العراقي،وأمتهن التعليم في المدارس الابتدائية. الشاعر الثاني هو عبد الواحد حسن سهر من مواليد خمسينيات القرن العشرين وقد نشأ أيضا في ظل الثقافة التقليدية السائدة في الريف العراقي آنذاك،لكنه وعلى الرغم من اكتشافه لعدم جدوى العديد من مفردات هذه الثقافة في ظل التغيرات التي كانت تحصل في العالم بصورة عامة وفي المناطق الحضرية في العراق بصورة خاصة، لكنه لم يحاول أن ينحى الطريق الذي سلكه زميله الأول في إعلان الثورة على هذه الثقافة جهاراً وفي أقدس مكان لهذه الثقافة ألا وهو المضيف،مارس هذا الشاعر التعليم في المدارس الابتدائية واستخدم الرمز في التعبير عن مكنوناته للتخلص من رقابة المجتمع والسلطة. الشاعر الثالث هو علي كرم وهو من مواليد ستينيات القرن المنصرم ،عاش طفولته وصباه وجزء من شبابه في أرياف ناحية الفهود ثم أنتقل إلى ناحية كرمة بني سعيد،لم يكن يتبنى أطراً فكرية معينة وإنما كان انتمائه إلى مجتمعه المحلي وخاصة فئة الشباب والتي كون فيها علاقات صداقة واسعة وبفترة قياسية،أعتقل بتهمة الانتماء إلى صفوف حزب الدعوة الإسلامية المحظور في حينها وقد تم تنفيذ حكم الإعدام به وهو في ذروة شبابه وإبداعه.

الأول معلم ماركسي والثاني معلم مستقل مع ميل واضح للماركسية والثالث عسكري مستقل ثم متحزب إسلامي أودى به إلى الإعدام في نهاية الثمانينيات . كان جاسب مطرب أكبرهم سنا وأقدمهم تجربة وهو من نتاج التجربة الماركسية في العالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، ثائراً على الكثير من تقاليد المجتمع ومحاولاً إحداث فجوة في جدار ثقافة مجتمع القرية والبلدة التي يعيش فيها من خلال أسلوبه الناقد في الحديث والمحاورة التي كان يقوم بها في المضيف أو المقهى أو المناسبات الأخرى،وعلى الرغم من كونه ابن شيخ عشيرة إلا انه كان ناقما على كافة آليات العيش المتبعة آنذاك ومنها النظام العشائري وكان يدعو دائما إلى التغيير مستخدما مكانة أسرته في عملية الخطاب المتشدد والناقد لجلسائه من الفلاحين حينما كان يحاول تبديل قناعاتهم الثقافية.طُورد من قبل السلطة باعتباره منتميا للحزب الشيوعي فالتجأ إلى الهور هرباً من قمع السلطة الذي كان يطال كل حي وقرية وشارع،أوُشيَ به في أحد ليالي الشتاء وهو في الهور وتم إطلاق النار عليه وأصيب ثم سلم إلى أجهزة السلطة الأمنية ثم زج في السجن،أنتقل للعمل والعيش في محافظة البصرة ثم عاد إلى منطقة سكناه واشترك في الانتفاضة الشعبية في آذار ١٩٩١، غادر على إثرها الوطن إلى معسكرات اللاجئين العراقيين في السعودية ومن ثم حصل على اللجوء في هولندا التي لا زال يعيش فيها حتى الآن. إما عبد الواحد حسن فقد كان متأثراً إلى حد كبير بالعرف لكنه سرعان ما ثارَ عليه وتنصل عن الكثير من مبادئه القبلية بعدما اتصل بمجتمع اكبر في دراسته في معهد المعلمين.عاش متأرجحاً بين الانتماء الفكري القبلي وبين قناعات جديدة جعتلهُ ناقماً على الكثير من العادات والتقاليد البالية التي كانت سائدة في الريف،خط لنفسه طريقا جديدا من خلال قراءاته لتاريخ الأدب العربي شعرا ورواية مع ميل واضح للشعر الذي كان يكتبه باللغة الفصحى والدارجة. الشاعر الثالث علي كرم ولد وترعرع في ريف ضفاف أهوار جنوب سوق الشيوخ وأكمل هناك دراسته الابتدائية والمتوسطة قبل أن يلتحق في الجيش،انتقل للعيش في كرمة بني سعيد وانضم إلى مجموعة الشعراء الشعبيين الذين كانوا يحاورون الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي كان يمر به العراق بصورة عامة ومناطقهم المحلية بصورة خاصة إبان الحرب العراقية الإيرانية في عقد ثمانينات القرن العشرين،انتمى في هذه الفترة أو ربما قبلها إلى صفوف حزب سياسي إسلامي محظور إلى أن اعتقلته السلطة وتم إعدامه اثر ذلك.

الشعراء الثلاثة جاسب مطرب وعبد الواحد حسن وعلي كرم هم من نتاج الحياة الريفية المغلفة بالإطار الديني.ولقد أثرت البيئة بجانبيها الطبيعي والاجتماعي في حياتهم لا سيما الجانب الإبداعي منها حالهم حال إقرانهم ممن زامنهم من نفس الفترة التي عاشوا فيها مع وجود الفروقات الذاتية طبعا.أستخدم الشعراء الثلاثة الرمز في التعبير عن أرائهم التي يتعلق معظمها بالوضع الاجتماعي العام مع تركيز على الجانب السياسي الذي كان يقوده

حزب شمولي واحد لا يسمح لعامة الشعب مناقشة إخفاقاته الكبيرة التي كانت تطفو على سطح الواقع والتي كانت تزيد في وضع البلد تأزما وفي المجتمع نقمة.لقد كان يتم التعبير عن نقمة المجتمع بالرمز الذي كان يستخدم في القصيدة ومتعلقاتها في الريف من الأبوذية والدارمي والأهزوجة مثلما يستخدمها مبدعون آخرون في الرواية والقصة والمقالة بالإضافة إلى ما كان يتداول على السنة العامة من النكتة والإشاعة.

الفصل الثاني(*)
نماذج الدراسة
النموذج(١)
طيف الحبيب جاسب مطرب طاهر

يبدأ الشاعر قصيدته بطلب لحوح إلى الطيف بأن يذهب عنه بعيداً "يا طيف الحبيب أبعيد عني أبعيد" ،بمعنى اذهب عني بعيدا قدر ما تستطيع، فلقد سأم هذا الوقوف الأزلي أمام مرآه ، أين ما توجه وحيثما التفت.ولكن لماذا؟ أيُعقل أن يمل المرء طيف حبيبه،ذلك الكيان الشفاف المحبب إلى النفس،إلا أن الشاعر سرعان ما بجيبنا على تساؤلنا من خلال طرحه لمجموعة من الأسئلة التي يوجهها إلى هذا الطيف على شكل عتاب:

يا طيف الحبيب أبعيد عني أبعيد،مالك دوم جدامي
مالك بالعذاب الروح ذابت والدمع دامي
مالك شو تراويني يطيف أفكار من ها لويل
روحت الوسن عن عيني بها لليل

يقول الشاعر في هذا المقطع " بعيداً بعيداً عني أيها الطيف...فلماذا أنت أمام مرآي على الدوام...لماذا أنت تهددني بالعذاب وها هي الروح قد ذابت وهاهو الدمع بلون الدماء... لماذا تريني أيها الطيف أفكاراً تنذرني بالويل والثبور...لقد أذهب موقفك هذا النوم من جفوني". أن سير القصيدة تجعلنا نتعاطف مع مأساة الشاعر وتفسر لنا لماذا طلب من طيف حبيبه أن يذهب بعيداً عنه فلقد مل وجوده أمامه،فروح الشاعر قد ذوبها العذاب وتحولت قطرات دموعه إلى دماء ومع ذلك فأن الطيف لا يزال يقدم أفكار مقلقة ومؤرقة تنذر الشاعر بالويل حتى أن الوسن قد فارق عيناه في تلك الليلة التي ولدت فيها القصيدة.يسترسل الشاعر بعتابه المر إلى الطيف قائلاً له:

مالك ما تشوف الحال مني ولا تشوف الحيل
صرت ما افهم من افهم يطيف وكربت أيامي
صرت ما افهم أمدوهن يطيف وكربت الأيام
مالك من أكلك كوم يا طيفي كلت شو نام
تغيب أفكار تاخذنه وتردنه أحلام

أشما طال العذاب وزاد يرخه ظنته احزامي

أما ترى حالي،أم أن ذلك يروق لك حتى صارت حالتي المتردية وقواي"حيلي" المنهارة من جراء السهر والتفكير والمناجاة والكبت،تروق لك وتنتشي بها فتعاود الكرة علي تلو الكرة.لقد التبس الفهم على الشاعر وصار يشعر بدنو اجله.لقد أدى عدم فهم الشاعر لما حوله بعد أن صار يناقض بعضها بعضا،إلى شرود ذهنه

(*)القصائد الشعبية الثلاث التي ترد في هذا الفصل هي لثلاثة شعراء شعبيين يسكنون في منطقة واحدة، كما تم الإشارة لذلك في أكثر من موضع من البحث،وهذه القصائد غير منشورة في أي ديوان أو صحيفة وإنما يتم تداولها شفاهياً بين سكان المنطقة،وكل ما يرد من تحليل لهذه القصائد في هذا الفصل هو من قبل الباحث ولم يتم نقله من أي مصدر آخر.

وعدم تركيزه على مفردات حياته فقد كان كابوس الموت يقض مضجعه.تتوالى الأفكار ويصطدم بعضها بالآخر ثم تختلط بالأحلام ،فكيف يستطيع العقل أن يمازج بينها دون حدوث خلل واضح في المشاعر والسلوكيات الظاهرة والمخفية.لكن الشاعر يأبى الهزيمة من خلال تأكيده على أن نطاقه الذي يشد ظهره سوف لا يتخلخل فيعجز عن القيام بمهامه ومواجهة الصعاب مهما اشتدت.لقد قرر أن لا ينهار بل البقاء صامداً حياً أو ميتاً.

أشما زاد وتمطه الطيف بالحسرة يعتني وبيها اعتنه
كل ساع وكلت هسة يروح أنساه أودعنه
مدري للصبح سهران ما ميزت من جاني
مدري للصبح والروح تمسي بهم تغيب بهم
عافاه الكلب مجروح عافاه من لحم من دم
مل الليل من نومي حلم بالليل صرت احلم

كلما استمر الطيف مرابطا في خيال الشاعر فأن (الحسرة) هي الرابط الذي يجعلاهما في عملية صراع هو والطيف يسحب احديهما باتجاه الآخر(يعتني وبيها اعتنه) ودون أن يتمكن احد من النيل من منافسه. يدعونا الشاعر إلى مشاركته في المشكلة حتى نتمكن من الإحساس بمعاناته، فحصيلته من طيف حبيبه هو السهر،الغم، الهم، الفراق،اللوعة والكبت.لقد صار يُمني نفسه بين ساعة وأخرى بذهاب هذا الطيف وتوديعه لكي يسترح من همه وغمه فينام.

ميل ..ميل أترجاك عف ما عوف وجداني
ميل..ميل أترجاك يا طيفي يطيف الشوم
لا ونت ولا جنت أفك الشبكة للمحتوم
من فركة حبيبي وزاد ما ضل حيل من حيلي

وبرجاء وتمني يطلب الشاعر من الطيف بأن يذهب عن وجهه قائلا له(ميل)أي تنحى عن طريقي،ثم يقول له لا تُتعب نفسك فأن محاولاتك لكي اترك وجداني تذهب سدى.أية مفارقة تلك التي تجعل الشاعر يصف طيف حبيبه بالشؤم.

مالك من أكلك كوم يا طيفي كلت شو نام

وكلما طلب الشاعر من الطيف أن يرحل"أكلك كوم" أي أقول لك قم وارحل عني ترد علي "شو نام" أي نم أنت فأني غير راحل.

يا طيف الحبيب أبعيد عني أبعيد... ما يبعد ولا جنة
ما افهم من يحاجيني من يحجي ما فهمنه
تايه بالمنازع ريت لا اخذ ورد ونه
صرت مثل الشبح بس روح خايب ضاع هندامي
صرت مثل الشبح بس روح تمشي وترد ليه أردود
أظلم بس أشوف أحلام اشك جن انه ما موجود
أصبر يا صبر لحظات هذا الموت ألمتاني

لقد أصبح طيف الحبيب ضيفا ثقيلا لا يتحمل المضيف بقاءه وعندما يطالبه صراحة بالرحيل فانه لا يستجيب وكأنه لا يسمع الإلحاح بالمغادرة على الإطلاق،وفوق هذا وذاك فان لغة التفاهم تنعدم وتتلاشى بين المضيف وضيفه الثقيل فكلاهما لا يفهم من الآخر شيئا.ويكشف لنا الشاعر كافة أوراقه عندما يقول "صرت مثل الشبح بس روح تمشي وترد ليه أردود" فكيانه كاد أن يتلاشى وهيئته على وشك الضياع،فهو مجرد شبح تستقر فيه روح قلقة غير مستقرة تذهب تارة وتعود تارة أخرى.ثم يطلب الشاعر من الصبر أن يصبر عليه قليلا فأن الموت بانتظاره.لكننا نكتشف أخيرا بان الطيف الذي يلازم خيال الشاعر لا يستطيع المغادرة لأنه لا يستطيع أن يترك حبه و عشقه وذكريات الصبا والشباب التي عاشها مع الشاعر في لحظات الصفاء والود والتلاقي.

هذا الموت خو شفته مثل ما جاك رد الطيف
كاس الحب فلا عفته
ما موت من أموتن بيه مو حي كون ينساني

يقول الطيف للشاعر وهو يقسم له بالموت الذي أصبح الشاعر يراه قريبا منه إلى درجة انه حقيقة يعيش إرهاصات دنوه، بأنه لم يترك كأس الحب لأنه مرتبط به ارتباطه بالحياة حتى انه يعتبر موته في الحب هو الحياة ذاتها،في الوقت الذي يكون فيه الفراق والبعاد هو الموت بعينه.بعد ذلك يعود الكلام ثانية إلى الشاعر الذي يعترف بعد ما سمعه من الطيف بأنه غير ناس للعناق وغفوة الحبيب في حضن حبيبه، الحبيبان اللذان كان يذوب احديهما بالآخر:

ما ينسى المعانك ذاك... ذاك وغفوة الشبكة
ذاك الجنت أذوبن بيه جان يذوب بالملكة.

النموذج(٢)
طيف الحبيب عبد الواحد حسن سهر

على خلاف الشاعر في النص السابق فأن شاعرنا هنا ينتظر طيف حبيبه على أحر من الجمر:

يا طيف الحبيب ونعم منك طيف
عدينه شكثر ساعات للملكة
عدينه شكثر ساعات نترجاك
يا طيف الحبيب وتكتل الفركة

"والنعم" كلمة تستخدم في اغلب مناطق الشرق العربي تعبيرا عن الامتنان والتقدير للشخص.والنعم من النعمة والشاعر هنا يبدأ قصيدته بمناداة طيف حبيبه" يا طيف الحبيب" ثم يردف هذه المناداة بكلمة "والنعم" منك فأنت صاحب النعمة.ثم يوضح له كيف أصبح يعد الساعات انتظارا للقاء، هذه الساعات بكافة دقائقها وثوانيها ونحن نترجاك، نتأملك بأشواقنا الحرى فقد كاد الفراق أن يقتلنا.ثم يقدم الشاعر التماساً مشفوعاً بالترجي عندما يشرح له حالته الراهنة من جراء الفراق الذي الم بها.

يا طيف الحبيب وكلب بيه آلام
تتزايد يطيفي والجرح ينزف
يا طيف وعيون من العذاب ألفات
وجلات ويهلن والجفون أترف
يا طيف ومحاجر عافن الجفنين
وعيوني أبقدوم اهواي ها لتهتف
يا طيف الحبيب وتحل لازم ضيف
أبموك الشابحات اضيوفنه تبكه

يقول له أن القلب يتألم والآمه تزداد ولم يزل الجرح لم يندمل بل هو نازف دون توقف.أما العيون فقد أضرها العذاب طوال الفترة الماضية حتى أصبحن وجلات،ينهمر منهن الدمع.ومع كل ذلك مضافا إليه أعراض الهزال والتعب التي تبدو على مراسم الوجه بصورة خاصة من عيون ومحاجر وجفون،إلا أن العيون نفسها لا زالت تهتف بقدومك يا أيها الطيف لذا أصبح لزاما أن تحل ضيفا لكي تقر بك الأعين وتطمئن بقربك القلوب وتستريح لمقدمك النفوس،فأحلل أيها الطيف ضيفا عزيزا:

ابموك الشابحات وعينة تربيك
وتتنظر تحلنه ضيف يمعدل

مآق شابحات وعيون تنظر وتنتظر حلولك فينا ضيفا " يمعدل". ومن خلال وفرة وحر الأشواق التي أصبحت تبثها الروح آهات ولواعج فأن مكانك في الضمائر هو كالهلال الذي يلوح في السماء مبشرا بقدوم شهر جديد،لكن الشاعر يقول للطيف بأن من عادة الناس أن تعد أياما لا تتجاوز الثلاثين فيبدو الهلال بالأفق إلا أننا قمنا بحساب الليالي والأيام حتى تعبنا دون أن يهل هلالك:

ومن كثرة الأشواك الدارت بها لروح
ليك أبسل تلاشت والتشوفه السل
مجانك بالضماير جالهلال أيلوح
عدينه وتعبنه وما أشوف أتهل

أعضاي وهل أتشوف أتلكتك يا طيف
كـــل عضـــو
أبمجانه أيهلا ويتلكه

لقد كانت جميع أعضاء جسد الشاعر نشوى بفكرة قدوم الطيف وقد تناست هذه الأعضاء آلامها وتعبها واعدت نفسها للاستقبال وكل عضو وهو في مكانه يستعد متهللاً للقاء:

يا طيف الحبيب وشلذ منك ضيف

طويت ارموشنه وبهداي تتنكل
عندك من وليف الروح شايات
خجـــول وتســـتحي
ومرتوب ومعدل
يابه البيت بيتك فوت موان
دوس ولا تكول الروح
ما تحمل
ثنيتك والعنيته اليوم خطار
عنـــدك واليـــدور
الغانمة يلكه

يقول الشاعر مخاطبا طيف حبيبه بان لا "ألذ" أي لا أروع ولا أجمل منك ضيفا تحل علينا فتطوي رموشنا وبشفافية " وهداوة " تتنقل في دواخلنا فتطويها واحدا تلو الآخر. ثم انك أيها الطيف تحمل من الحبيب ذاته وتشترك معه في صفات وخصائص منها الخجل" خجول "والحياء " تستحي " والنظام " معدل "أي أن تصرفاتك وهي تصرفات الحبيب ذاتها تنم عن ذات محبوبة. لكن لما الحياء ووقوفك أمام دواخلي دون أن تلج " يابه البيت بيتك فوت موان " ،فهذا الجسد بكل ما فيه هو لك فادخل دون استأذان ودون خشية انك سوف تثقل على صاحبه لأن الأخير هو في الحقيقة ضيف لديك في هذا الجسد. وفوق هذا فان الشاعر يبيح لطيف حبيبه بان لا يخفف الوطئ وهو يسير فوق الروح لأنها حتى وان كانت لا تحتمل الوطئ الثقيل فأنها تتحمل وطئ طيف حبيبها مهما ثقل.

ثنيتك والعنيته اليوم خطار
عنـدك
واليدور الغانمة يلكه

الثنية هي فضاء الدار ولها قيمة اعتبارية ومعنوية كبيرة ،فالدخول إليها لا بد وان يكون عن طريق عتبة الباب وبعد إذن من أهلها وغالبا فان " ثنية " البيت تبقى مختصرة على أهل الدار والضيوف من النساء والأطفال لان الرجال يرحب بهم في المضيف، وهناك في الريف العراقي مادة قانون عرفي تحت عنوان " دوسة ثنية " وعليها عقوبة كبيرة تفرض على الجاني. أن دوسة الثنية معناها السطو ليلا والدخول سرا إلى باحة الدار دون علم أصحابها، إلا أن الشاعر هنا يصرح للطيف بأن " ثنيتهُ " مباحة له دون استأذان ودون الوقوف على الباب بل أن الضيف هو" أنا" يقول الشاعر متوسلاً إلى الطيف أن يرفدهُ بكرم الضيافة.

ثنيتك والعنيته اليوم خطار
عندك واليدور الغانمة يلكه

فانا يقول الشاعر كلي أمل بأنك أيها الطيف وقد جئتك ضيفا سوف لا تخيب ظني بل انك سوف تبلغني مرادي ومناي. إلا أن الشاعر سرعان ما ينقلنا إلى حالة جديدة فها هو يقول لطيف حبيبه:

يا طيف الحبيب وصبر حتى الموت
ومـوت يـلادي مـوت
وبلوة للبلوة
وعادات العنيد وما يريد القيد
يتحزم بالصبر يتجرغ
السلوة
والروح العزيزة البكت بس نكاد
خل أتظل عزيزة العمر
ما يسوة

فالشاعر الذي تخلى عن كل شيء لطيف حبيبه مقابل حلوله عليه يأبى أن يكون هذا الحلول على حساب كرامته وعزة نفسه لأنه على استعداد أن يصبر حتى الموت بل ليس ميتة واحدة ولكن وان تكرر هذا الموت وتعددت البلوى.أن عادات العنيد الذي ينشد الحرية ولا يستسيغ القيد في يديه، أن يكون حزامه الذي يشد به أزره هو الصبر ذاته . أما الروح وهي عزيزة على صاحبها دون ريب وهذا دليل على أن الشاعر يحب الحياة وروحه عزيزة عليه ، هذه الروح وأن كانت ضعيفة للغاية فأن الشاعر يحرص على بقائها عزيزة حتى النهاية فليس هناك ما يستحق أن يفرط المرء بعزة نفسه من اجله.ومع كل ذلك فأن الشاعر وفي نهاية هذا المقطع لا يستطيع أن يخفي لواعجه وأشواقه ورغباته التي تحولت إلى مراجل تغلي في القلب حتى وصل لهيبها إلى الشغاف فما أحوجها إلى زخات مطر مصحوبة بحبات برد لكي تطفئ نارها وتعيد الحياة إليها والأمل وما تلك وهذه إلا قبلة من شفاه الحبيب العصي على اللقاء ليس هو فحسب ولكن حتى طيفه الذي ارتضى الشاعر أن يحل عليه ضيفا في تلك الليلة:

يا طيف ومراجل بالدليل أتفور
وصـــلت للشـــغاف
الكلب هم حكه

أليس للقلب حق فيما حصل له نتيجة لما مر عليه من الهجر والبعاد، إلا انه سرعان ما يؤكد أن الحق نفسه قد مات وقدتم تشييعه إلى مثواه الأخير في نفس ليلة موته وفي هذا إشارة إلى أن موته كان نتيجة عملية اغتيال وان الجاني لا يريد أن يظهر الصباح عليه وترى الناس كيف حدثت الوفاة.ومع ذلك فان الضجة التي حدثت نتيجة موت الحق كانت كبيرة ويقول للطيف بأنك لو رأيتها لعلمت كيف كانت هي وقد حمله الشرفاء والأحرار في ضمائرهم أشعارا يتداولونها سرا نتيجة القيد الذي تفرضه السلطة على

حرية الفكر والتعبير .أن الشاعر ومع اعترافه بضرورة الصبر وهو جميل رغم مرارته إلا أن للقلب حدا في تحمله فهو في نهاية المطاف وعلى الرغم من توسل الشاعر إليه في صبره فان القلب يقسم ثلاثا انه قد صبر ما فيه الكفاية وليس له طاقة على صبر جديد :

مو حكه الكلب يا طيف مات الحك
قرينه ألفاتحه
وبليلته شلناه
حكك ما دريت العنجلة الصارت
عليه وبالضمايز
شعر ما كلناه
الصبر نعم الجميل وليك ما يجمل
ألاك الصبر ما
جولنه ومحلاه
وأردن للكلب وانخاه يتصبر
يحرم بالثلاثة
الصبر ما ضوكه

بعد أن يشرح الشاعر كيف أن صبره بدأ ينفذ، بل هو نفذ بالفعل يطلب مراده من الطيف الذي يتلخص بقيام الطيف بزيارته: " يا طيف الحبيب وجيت عناي " وهذه الطريقة يستخدمها سكان ريف جنوب العراق عندما يذهبون لعزيز قوم يطلبون منه شيء ما، فيقولون له " احنه اجيناك عناية " أي أننا قد قصدناك متوسمين فيك الكرم والأريحية وانك سوف لا ترجعنا خائبين، كذلك تستخدم هذه الطريقة في طلب المراد من المقامات والأضرحة وغالبا ما يقول الطالب " يا أيها السيد أو الإمام قد جئتك قاصدا كرمك ومقامك لدى الله أن تشفع لي ، أو أن تجعلني احصل على كذا وكذا "،هنا الشاعر يستخدم هذه الطريقة في التوسل إلى طيف حبيبه في المجيء إذ يقول له :

يا طيف الحبيب وجيت عناي
أمكلف بالهموم ودوب
ممشاي

لقد قصدتك بعد أن ضاقت بي السبل ونفذ صبر قلبي واضر بي الفراق والهجر حتى أثقلتني الهموم وهزل جسمي فها هي قدماي بالكاد تسيران بي. يصف الشاعر بعد المسافة التي قطعها متوجها إلى الطيف والظروف التي سار فيها:

أنا بحر الظهيرة وكيظ تموز
ونار بدليلي وموس بالحاي

قيض ظهيرة تموز في جنوب العراق تعني أن الشمس عمودية ودرجات الحرارة تناهز الخمس والخمسون درجة مئوية والطقس حار جاف والرياح إما ساكنة تماما أو هي سموم حارة وحادة كالسيف.هذا هو وضع الحيز الطبيعي الخارجي الذي كان يسير فيه الشاعر،أما ما في جوفه فقد كان أعظم إذ أن جهنم كانت قد اضطرمت في قلبه " نار الله بدليلي " و"موس بلحاي" وهذا أمر آخر فبما أن اللحية هي عنوان الحكمة والوقار إلا أن موسى النكبات صارت تعمل في حلق لحيته.

وعيلات الزمان احاه عيلات
ولوعات الدليل وشوك
لهواي

العيلات هنا بمعنى المصائب أو غدر الزمان والشاعر يتألم لها ومنها لأنها كبيرة ومؤثرة ويا ليتها كانت لوحدها فيتحملها الإنسان إلا أنها كانت تمثل فقط احد الأضلاع الثلاثة بالإضافة إلى ضلعي المثلث الآخرين وهما "لوعات الدليل "بمعنى لوعة القلب و" شوك لهواي "أي الشوق للحبيب. أن هذا المثلث يشكل مجمل حياة الشاعر المؤلمة التي مهما عمل للتكيف معها فأنها تتغير نحو الأسوأ باستمرار:

ودنياي شما جالب هاي دنياي
لا ندى الجبين ولا ابها
العركة

فهي سائرة في غيها لا ترعوي حتى أن جبينها لا يعرق، يقال في جنوب العراق للإنسان الذي يعمل عملا غير لائق أو لا تقره الأعراف الاجتماعية السائدة " ما بكصتك عركة "، أي انك لا تخجل من عملك هذا،الخجل الذي من خلاله ترتفع درجات حرارة الجبين فيتصبب عرقا .

يا طيف الحبيب العمر مكضيات
ولن لا تسل ما يسون
أيامه
امسجه وكوتاني كوت حسرات
حسرات العجيد الشحو
ازلامه
سارح والفكر حسبات حسبات
والليل اليمر مبخوت ما
نامه
لا كاتب الراحة أتشوف ها لروح
ولا يأمر أتولي وتطلع
بشهكه

أن عمري أيها الطيف يقول الشاعر قد تصرمت أيامه وليس هناك ما يستحق أن يحسب من هذه الأيام، فالعمر قد ولت أيامه هدرا وحتى غير مأسوفا عليها لأنها لم تكن إلا مجموعة من الآلام والنكبات والحسرات.أن العمر اليوم " مسجى" للموت،وأي عمر هو ذلك الذي لم يذقني سوى الحسرات "كوتاني كوت حسرات " حسرات عقيد القوم الذي نظر إلى رجاله فإذا هم قد شحوا وقل عددهم والمعركة لا زالت في أوجها.لقد أدت هذه الحالة بهذا العقيد أن يكون فكره سارحا تتناهبه الخواطر المزعجة طوال ساعات الليل الذي تهدأ الناس فيه وتنام:

"والليل اليمر مبخوت ما نامه
"

فهذا الليل الذي يمر على جميع الناس أيها الطيف صدقني "مبخوت "أنني لا أنام فيه. لقد سيطر اليأس

على عقل ومشاعر الشاعر وها هو يضيق ذرعا ويخاطب خالقه :

لا كاتب الراحة أتشوف ها لروح
ولا يـــــأمر
أتولي وتطلع بشهكه

فإذا لم يكن لي حظ سعيد في هذه الحياة الدنيا أن أعيش براحة " ضمير وبال وروح وقلب وجسد" فلما لا يكون أمرك عاجلا على هذه الروح بأن تترك الجسد وتغادر أليك أنت يا بارئها. وفي المقطع ما قبل الأخير تبلغ حالة اليأس لدى صاحبنا مبلغها وهو يخاطب الخالق بصورة مباشرة :

لا كاتب الراحة وكلت محمود
ولا يأمر أتولي
وخوش رب مشكور

فالشاعر يقر بالحمد والشكر لله في الحالتين إما الراحة في الحياة أو الأمر في الوفاة:

امخليها حضرته بين ما بين
مزهرة وهل تشوف
أتسوس واتدور

وهنا يصف حالته بحال السمكة التي ابتلعت قطعة من "الزهر " الذي قذفه الصياد في الماء فأصبحت "أتسوس واتدور " أي تدور على نفسها لا تستطيع تمييز طريقها وهكذا تكون عرضة لمسكها باليد. ثم أن الشاعر يقولها صراحة بأنه وفي خضم الآلام التي يعيشها انه لا يطمع بحور عين في الجنة ولا بحياة باذخة وثروة وقصور.ثم يتوسل إلى ربه الذي حلمه سبعون عاما بأن يغير حالته نحو الأفضل :

لا راغب الجنة وحور من عين
ولا
طامع أبدنية ومال وقصور
يل حلمك عشر سبعات تكميل
خـل
نطوي حجينة ونبدي بوركة

وفي المقطع الأخير الذي يتكون من أربعة أبيات يقول الشاعر أن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر قد تبدى وسوف تتضح أشكال الأشياء لبصر الإنسان وسوف يشاهدك " النمام " خارجا من عندي وأنا وأنت نحاذر منه وليس هناك من عذر لي ولا لك وقد انجلت الظلمة وظهر النهار :

انطر خيط الفجر ونحاذر النمام
عذر ما مش
بعد للضيف وانجلت
عربنة وكل أهلنه طلعت لملكاك
وصـــــــفوف
الوشاة أبدربك التمت

وهاهي سكان قريتنا والقرى المجاورة قد علمت بوجودك لدي وقد اصطفت لاستقبالك على طول الطريق وكان في مقدمتهم " الوشاة " ويستسلم الشاعر في نهاية المطاف لرحيل طيف حبيبه مودعا إياه بحسرة وشوق وهو لم يزل بعد لديه ثم يقول له وبلهجة تهكم "كان ينقصها رحيلك" وهاهي قد اكتملت بهذا الرحيل :

ويا طيف الحبيب وألف الله وياك
جانـــت
عايزة وبجفاك هل تمت

ويختصر الشاعر قضيته بأكملها في البيت الأخير معبرا من خلاله عن الوضع السياسي العام في العراق الذي كان ينذر بالخطر عندما استلم صدام حسين زمام الحكم فيقول :

مهيلتنة ابعراضة وجهل بالملاح
أيكلفها حبيبي
جناح من بكة

إشارة ذكية وموفقة للشاعر عندما استطاع أن يضمن الشطر الأول من هذا البيت حالة العراق إبان بداية عقد الثمانينات من القرن العشرين وتنبأه بأن هناك خطر كبير يحدق بالوطن نتيجة "جهل الملاح " والذي هو القائد.والمهيلة هي مجمل ثروة الشخص أو العائلة التي وضعت هنا في قارب يسير بها في " عراضة "والعراضة هي بحيرة الماء الواسعة التي لا ينبت فيها القصب والبردي لعمقها وغالبا ما تغرق فيها السفن خاصة في أوقات العواصف والرياح.وفي خضم الأحداث التي كان عليها العالم والشرق الأوسط بالخصوص في ثمانينات القرن العشرين كانت حالة العراق تنذر بالخطر وقد اعتلى منصة الحكم فيه حاكم جاهل،مغامر ومتخلف وهذا ما كان سببا لكل ما حدث للعراق طوال الربع الأخير من القرن العشرين ولا زالت أثاره وستبقى حتى حين.ومع ذلك فان الحبيب " الرمز "يأخذ من الشاعر الذي يستعيض عن عبارة " القشة التي قصمت ظهر البعير"بعبارة أخرى هي "جناح البعوضة الذي سوف يغرق " مهيلة " الشاعر في قاربه

" يكلفها حبيبي جناح من بكه "

النموذج " ٣ "

طيف الحبيب علي السيد كرم

يا طيف الحبيب افرش بعيني ونام
على طولك تمدد لا تلم رجليك

يبدأ الشاعر دعوته لطيف حبيبه بأن يفرش فراشه في وسط عينه وينام مستلقيا على طوله دون أن يقرفص رجليه :

وعلى صبيها تكلب ما تكول احاه
وإذا جاسك برد برموشها تغطيك

وأنت أثناء نومك لا تخشى من انك سوف تؤذي حدقة العين،بل تقلب حيثما يريح جنبك فالعين سوف لا تُسمعك آلامها من ذلك.ليس هذا فحسب بل أن البرد إذا ما تسلل إلى أعضائك وشعرت به فأن هذه العين سوف تغطيك بجفونها :

تغطيك بجفنها وتسهر تباريك
وكل ما تفز آمر كول شتريد
وسوف تسهر عيني على مداراتك فما يراه الآخرون من إغماض جفوني هو مجرد لتغطيتك، ولا تبالي فأني سهران وعلى استعداد لتلبية مطالبك التي هي أوامر يجب على إطاعتها :
اعصر لك دموع العين ليمون
عوافي اشرب وأقدم ألكاس بالأيد
صحة وعافية كيفك عسى زين
هز راسه وتناثر لي عرابيد
أن الشاعر يقدم كرم الضيافة على أتمه فمع كأس الليمون الذي يعصره من دموع عينيه يجلس بين يدي حبيبه سائلا إياه عن حالته وهل هو على ما يرام،فيومأ الطيف برأسه بالإيجاب ويصف الشاعر هذه الحركة التي أسفرت عن اهتزاز جدائل الحبيب حتى خيل إليه بأنها "عرابيد " أي ذكور الأفاعي السوداء التي سرعان ما تفاجأ بها.ثم يطلب الشاعر من الطيف متوسلا إليه أن يتكلم ليفرح الخاطر ويدخل السرور على نفسه :
تفلهم فدوة وأسعدني بمحاجيك
فرح خاطري وخل روحي اتهيد
اضحك لا تخليني ابضحضاح
ولو بس ابتسامة وبعد لا تزيد
ولم يخيب الحبيب ظن حبيبه فقد ابتسم ومن خلال الابتسامة بانت ثناياه على شكل " حب طليع "وهو اللقاح الذكري لشجر النخيل الذي يكون ابيضا ومرصوفا بشكل متناسق، ثم أن الطيف يقدم هذه الابتسامة " عيدية"لحبيبه الشاعر:
حب طليع بانتلي ثناياه
يكلي ما أحرمك ليلة العيد
ويرد الشاعر التهنئة بالعيد للطيف متمنيا له أن يستعيد هذه المناسبة كل عام، بل كل يوم ومن خلال أعيادك اليومية سوف تحل علينا ضيفا كما حللت علينا هذه الليلة بمناسبة العيد :
عسنك تستعيد العيد كل عام
ومبارك يطيفي عيدك عليك
عسنك تستعيد العيد كل يوم
يا طيفي وتحلنة ضيف بالليل
جثير أهلا وسهلا يا هلا بيك
مية هلا بطولك يا غصن هيل
فارشلك دليلي بساط ممدود
فوت براحتك واسحك عليه حيل
يكثر الشاعر من كلمات الترحيب والتهليل بمقدم طيف حبيبه الذي يصفه هذه المرة بغصن شجرة الهيل.أن القلب بساط ممدود لك فامشي فوقه ودس عليه بإقدامك بقوة، والشاعر هنا يعرض القلب مكانا لضيافة الطيف بعد أن عرض في المرة الأولى " العين " وجميعها أماكن عزيزة على الإنسان لكنه يترك الخيار للطيف كيفما أحب وأنى له ما يختار:
اعضاي تلكتك كلها معازيب
المن تلتجي وليا عضو تميل
كلها تكول عندي الليلة خطار
مسبكة أعله الدرب تحمل قناديل
جميع أعضاء جسدي أيها الطيف قد استقبلتك متهللة، فرحة، نشوى بمقدمك وجميعها " معازيب"، أي قائمة على خدمتك، فلك الخيار إلى أي منها "تلتجأ "والى أي منهم "تميل ".جميع هذه الأعضاء تتمنى أن تحل عليها ضيفا وهاهي تتسابق بطلب القيام على استقبالك وتقديم الخدمة بين يديك.لقد وقفت على درب الانتظار تحمل قناديلاً ومشاعلاً وهي تنتظر القدوم :
هنيا له التزورة ويكعد وياك
فرد ليلة ويغني ليل يا ليل
تدري الروح هامت بيك يهواي
مر الها يطيف الله يخليك
هنيئا له من تزوره وتجلس عنده أيها الطيف من الأعضاء، وأنا سيان عندي أينما حللت وحيثما نزلت،ليلة واحدة فقط ونغني فيها "ليل يا ليل "ويذهب التوسل أمده عندما يرجو الشاعر "مر الها يطيف الله يخليك" إلا أن توسلات الشاعر تذهب سدى وقد تدانى الفجر فبعد ساعة ويبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر وهو يقسم بان عينه لم تذق طعم النوم مطلقا وهاهي روحه من الوجد صارت غير مستقرة:
مر الها تدانه الفجر يا طيف
وبعد ساعة ويبين خيط من خيط
وحياتك عيني ما لجلجت للنوم
وروحي من وجدها تشيط وتعيط
شيضرك من تمرني وترحم الحال
يولفي الليلة كمرة ونلعب شطيط
أعذرك كبل ظلمة وتعبر بماي
هسة الحرثة عدلة الدرب تبليط
فما الذي يضرك أيها الطيف إذا ما زرتني ولامست وجداني أيها الحبيب في هذه الليلة المقمرة ،وإذا كنت أعذرك في السابق بسبب الظلام ويفصل بيني وبينك الماء فالآن لا عذر فالليلة ليلة عيد ومن المؤكد انه عيد الأضحى والقمر في ليلته العاشرة.إلا أن الشاعر يتذكر بأنه قد استنفذ كافة الأعذار التي اختلقها هو لحبيبه فيندب حظه العاثر ويلوم نفسه لأنه أحب بدون تخطيط:
عذر لهواي ما مش كون اهو اهواي
لاجني هويت بغير تخطيط
وهاي آخر قصيدة وتحمل أعتاب
أحروف واضحة من غير تنقيط
خلها مساترة وياك يهواي
تره كل ما حجيته وداعتك بيك
ويقول الشاعر أن هذه هي آخر قصيدة اكتبها وقد حملتها عتابا فحروفها واضحة ولا تحتاج إلى تفسير،ثم يطلب من حبيبه أن يحافظا على سره خوفا ممن يفرح لافتراقهم "خلها مساترة "أي اجعلها

مخفية فأن كل ما تطرقت إليه هو فيك لكنني اختلق لك الأعذار الواهية حفاظا مني عليك أمام الناس وخوفا من الشماتة لأنك وببساطة هو من أحب واعشق.

نتائج الدراسة

١- يعتبر الشعر الشعبي أحد قنوات التعبير التي كان يستخدمها أبناء جنوب العراق للتنفيس عن ما كان يغلي في دواخلهم من لواعج وما كان يعتمل في قلوبهم من آلام وحسرات وما كان ينضج في عقولهم من أفكار وفي مشاعرهم من أحاسيس.

٢- تم اعتماد الرمز كطريقة للتخلص من الرقيب الأمني ،والتعبير عن الأفكار بطريقة مبطنة لا يفهمها إلا الشاعر والمقربين من الأصدقاء،لكنها سرعان ما تنتشر و تكون على السنة الناس معبرة عن أهدافها بكل وضوح.

٣- أن للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها المبدع الأثر الواضح والكبير في قولبة مزاجه العام وصهر أفكاره في بوتقة الثقافة السائدة،ومع ذلك فان الكثير من المبدعين سرعان ما يثورون على مفردات ثقافتهم محاولين تغييرها أو تبديلها.

٤- على الرغم من أن النصوص الثلاثة كانت محلية الطابع إلا أنها لا تخرج عن كونها تعبير حي وواقعي عما كان يعاني منه المجتمع العراقي وخصوصا المثقفين منهم بسبب كبت الحريات ومنع الكلمة ومصادرة الآراء وغلق الأفكار والتي كانت تمارسها أجهزة الدولة الحزبية والأمنية والاستخباراتية والإعلامية.

٥- في بيئة تسودها الثقافة التقليدية وتتحكم فيها الأعراف العشائرية،وفي مجتمع يعتبر المرأة أحد ممتلكات الرجل،يضطر المُحب إلى استجلاب الخيال عوضاً عن اللقاء بالحبيب.وفي بيئة سياسية تسودها الدكتاتورية وينتشر فيها القمع والاضطهاد يضطر المبدع أيضا إلى استحضار الرمز محاولاً تمرير أفكاره بصورة مبطنة عصية على فهم الرقيب الحكومي.

٦- تُظهر لنا النصوص الثلاثة حجم الألم الذي كان يعتصر قلوب الناس لاسيما المبدعين منهم بسبب حالات الاغتراب التي يعانون منها جراء سياسات التهميش السياسي والاضطهاد الفكري الذي كانت تمارسه أجهزة السلطة من جهة،وحالات الإرث العقيم من مفردات الثقافة التقليدية التي تقف حاجزاً وسداً منيعاً في وجه المبدعين وتمنعهم من الإتيان بالعمل الإبداعي بصورته الكاملة والصريحة.

٧- هناك الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية التي هي بحاجة للدراسة في العراق،وضرورة الخروج عن السياق التقليدي للبحث من خلال اختيار المواضيع غير المطروقة والتي تشكل جزء من الذاكرة العراقية كما أنها تساهم في الكشف بصورة موضوعية عن جوانب مخفية من الشخصية العراقية.

الهوامش:

1 . عبد النبي اصطيف،الموسوعة العربية،الأدب،مقال منشور في الانترنيت.

2. نفس المصدر.

3.Rudnick,Hans.recent British & American studies concerning theories of a sociology of literature ,joseph ed,literary criticsm and sociology,p.270-275.

4. سيد البحراوي،علم اجتماع الأدب،الشركة المصرية العالمية للنشر،القاهرة،١٩٩٢،ص٢٣-٢٥.

5. عاطف احمد فؤاد،علم اجتماع الأدب،دار المعرفة الجامعية،مصر،١٩٩٦،ص٥٩-٦٠.

المصادر الأجنبية:

1.Rudnick,Hans.recent British & American studies concerning theories of a sociology of literature ,joseph ed,literary criticsm and sociology.

المصادر العربية:

١- عبد النبي اصطيف،الموسوعة العربية،الأدب،مقال منشور في الانترنيت.

٢. سيد البحراوي،علم اجتماع الأدب،الشركة المصرية العالمية للنشر،القاهرة،.١٩٩٢

٣. عاطف احمد فؤاد،علم اجتماع الأدب،دار المعرفة الجامعية،مصر،١٩٩٦.

نموذج الاستمارة الإستبيانية الذي استخدمه الباحث في المقابلة مع الشاعر صاحب النموذج رقم (٢).

السلام عليكم ورحمة الله ... هذه الاستمارة صيغت لغرض البحث العلمي ،لذا أرجو التعاون معنا في الإجابة على مفرداتها.

(البيانات العامة)

الاسم:

عنوان وتاريخ مسقط الرأس والنشأة:

التحصيل الدراسي:

المهنة:

(أسئلة الاستبيان) يرجى الإجابة على مجموعة الأسئلة التي تتضمنها الاستمارة بصراحة وموضوعية.

١- متى وأين كتبت قصيدتك " طيف الحبيب"؟

٢- ما هو تسلسل قصيدتك من حيث التاريخ بالنسبة للنصين الآخرين؟

٣- ما هي العلاقة التي تربطك بالشاعرين الآخرين؟

٤- ما هي الأماكن التي كانت تجمعك في أكثر الأحيان بواحد من الشاعرين أو بكلاهما؟

٥- ما الذي تعنيه مفردة طيف الحبيب بالنسبة إليك؟

٦- هل كتبت قصيدتك متأثراً بنص زميلك الذي سبقك بالكتابة؟

٧- هل تعتقد أن للبيئة الطبيعية (الريف المحاذي للأهوار)في ناحية كرمة بني سعيد التي عشت في ظلها أثر في قولبة شخصيتك الأدبية؟

٨- هل تعتقد أن للبيئة الاجتماعية وخصوصا بجانبها الثقافي اثر في قناعاتك الفكرية؟

٩- هل كنت تعتقد أن الثقافة التقليدية التي كانت موجودة في مجتمعك جيدة في كافة مفردات محتواها،أم كانت بحاجة إلى تغيير أو تبديل ؟

١٠-كيف استطعت توظيف الرمز في التعبير عن آرائك في هذه القصيدة أو في سواها؟

١١-ما الذي كان يخشاه الشاعر بصورة أكثر، رقابة السلطة أم رقابة المجتمع وايهما يستطيع الشاعر التخلص منه بسهولة؟

١٢-هل كان استخدام الرمز شائعا عند جيلك والأجيال القريبة منك في العراق؟

١٣-هل كانت السلطة تستطيع فك شفرة الرمز الذي كان يستخدمهُ الشعراء والروائيين في إظهار عيوبها؟وهل كان الجمهور يفسر هذه الرموز بسرعة أم أن ذلك كان يقتصر على النخبة.

١٤-ما هو تقييمك لبحثنا هذا؟وهل تجد أن له ضرورة في الوقت الحاضر أم أنك تعتبره من الترف المعرفي؟